جامعة الشارقة
UNIVERSITY OF SHARJAH

مجلة جامعة الشارقة

مجلة علمية محكمة

للعلوم الإنسانية والاجتماعية



المجلد 21، العدد 1
رمضان 1445هـ / مارس 2024م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 1996-2339

مارس 2024م **مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية** المجلد 21 العدد 1
https//:doi.org/10.36394/jhss/21/1/14

تمثيلات الشخصية المثقفة في روايات محمد حسن علوان

سامي عبداللطيف الجمعان[1]

تاريخ الاستلام: 12-09-2022 **تاريخ القبول: 30-12-2022**

ملخص البحث:

هذه دراسة تتناول تمثيلات شخصية المثقف كما تصورها الروائي السعودي محمد حسن علوان في مجمل رواياته، بعد أن احتفى بهذه الشخصية وجعل حضورها فاعلا في نصوصه الروائية الخمسة، من هنا تتشكل أهمية الدراسة وأسئلة إشكاليتها، فأهميتها تنبع من المساحة التي منحها علوان لشخصية المثقف، فضلا عن الحمولات الثقافية والسياسية والاجتماعية التي أناطها بها، فضلا عن تنوع هذه الشخصية بين معاصرة، وأخرى قادمة من التاريخ، الأمر الذي كشف عن إشكالية رئيسية مدارها مجمل التصورات التي رسمها محمد حسن علوان لشخصية المثقف، والمسؤولية التي تكفلت بها في السرد. فهل كانت هذه الشخصيات صدى لشخصيته بوصفه مثقفا فاعلا في المشهد الثقافي السعودي!!، وهل تمكنت هذه الشخصيات من القيام بأدوارها الثقافية التنويرية!!، وأي تلك التمثيلات حقق قدرة فائقة على أداء دوره المجتمعي!! وأيها تقاعس وخان؟

من النتائج التي تتوقع الدراسة بلوغها، الحضور الاستثنائي للشخصية المثقفة في روايات علوان، ثم تنوعها، وتباين وعيها بدورها التنويري، انتهاء إلى دور السياق الثقافي في صناعة تلك التصورات.

الكلمات الدالة: تمثيل، تمثيلات، الرواية، الرواية السعودية، شخصية المثقف، محمد حسن علوان.

(1) كلية الآداب ـ جامعة الملك فيصل (الأحساء ـ المملكة العربية السعودية)
samijum@hotmail.com

المقدمة:

للشخصية المثقفة تصوراتها في ذهنية الروائي، وهذه الدراسة رصد لتصورات الروائي محمد حسن علوان وكيفية تمثيله لها؛ إذ اشتملت رواياته الخمس التي حازت مساحة قرائية عالية على هذه الشخصية، والروايات هي:

- **سقف الكفاية**، الصادرة في طبعتها الأولى عام 2002م؛ ومدارها قصة حب عنيفة جرت أحداثها بين جنبات المجتمع السعودي الذي لم يَعتد على مثل جرأتها، حتى وُصفت بقصة الحب المبتكرة عن قصة حب قيس وليلى الشهيرة عند العرب.
- **صوفيا**، التي رفعت الغطاء عن جانب فلسفي كبير لدى هذا الكاتب، بقدرته اللافتة على فلسفة قضايا الجنس والحياة، وكان صدورها الأول عام 2004م.
- **طوق الطهارة**، وصدرت عام 2007م، وهي المغامرة الروائية التي تُوّج من خلالها محمد حسن علوان ككاتب روائي له قدراته الخاصة، وبُرر ذلك بمدى وعي قلمه بمسار حياة المجتمع السعودي الحديثة، وتحديدا في لعبه على خيط الثورة الإلكترونية، وعلى طرافة ومتعة ورومانسية سرده حداثة الحياة في مجتمعه.
- **القندس**، والقندس شخصية تتنفس تناقضاتها وسلبياتها، وكانت مدخلا لعلوان لنسج قصة اجتماعية عرّت أحداثها المجتمع وأسقطت أقنعته، وكان صدورها في عام 2011م، أي بعد صدور طوق الطهارة بأربع سنوات تقريبا.
- **موت صغير**، في عام 2016م، عاد علوان من خلال موت صغير إلى شخصية تاريخية إشكالية، حرّكت المياه الراكدة في زمنها، وهي شخصية محيي الدين بن عربي، مستثمرا حمولات شخصيته الصوفية الصدامية، ومبرهنا على قدرة كتابية فائقة في مغامرة الشكل الروائي السيّري.

أهمية الدراسة:

انطلاقا من الدور الذي يؤديه المثقف في مجتمعه، وتأسيسا على قوة حضوره الإنساني تتشكل أهمية هذه الدراسة، إذا ما ربطنا ذلك الدور وهذا الحضور بالأهمية التي حازتها تجربة محمد حسن علوان في المنجز الروائي السعودي، خاصة في احتفائه الكبير بشخصية المثقف وعالم المثقفين، فهو بإتاحته تلك المساحة الشاسعة لشخصية المثقف في نصوصه خلق جسرا عتيدا لتسريد أفكاره، وتقديم رؤاه وتصوراته، حتى إن واحدة من رواياته لم تكن غُفلا من هذه الشخصية، وكأن حضورها صار سمة فارقة في منجزه، زد على ذلك أن فعل الثقافة في روايات علوان اكتسب فورانا سردياً، وبُعدا فكريا، وجدلا مجتمعيا، ولم يكن طارئا أو هامشيا، ومن هنا تكتسب هذه الدراسة أهميتها؛

إذا ما علمنا أنها سعيٌ لمقاربة هذه الشخصية بحسب تصورات محمد حسن علوان لها، وبحسب المقولات الخطابية التي تكفلت هذه الشخصية بتصديرها للقارىء.

مشكلة الدراسة:

تنبع إشكالية تمثيلات الشخصية المثقفة في روايات محمد حسن علوان من كيفيات تمثيله لشخصية المثقف، فالثقافة وإن اكتسبت تعريفات محددة ووظيفة مقننة، تعارفت عليها المجتمعات الإنسانية أعلن علوان عن تصورات تخصه في فهمه للثقافة وشخصياتها، بل نرى أنه انطلق بالنموذج المثقف نحو آفاق غير متوقعة وغير ثابتة، فالشخصية المثقفة التي نراها مشعلا للتنوير والتغيير يراها ليست دائما بريئة من المصالح، أو من الخذلان، وهنا مكمن الإشكالية وفحواها، تبعا لتفرد علوان في موقفه من شخصية المثقف، الأمر الذي يثير للباحث عدة تساؤلات، تستوجب البحث عن إجابات، ومنها:

- هل تستجيب تمثيلات محمد حسن علوان لشخصية المثقف لمثالية مفهومها في الوعي الجمعي، وفي المفهوم الثقافي الشمولي؟
- هل اقتصرت شخصياته المثقفة التي صورها على النخب أو طالت فئات مجتمعية أخرى؟
- لماذا استدعى علوان شخصية ابن عربي من التاريخ وحمّلها كل هذه الحمولات الثقافية التي تجاوزت التاريخ إلى الحاضر؟
- هل تصل بنا تمثيلات محمد حسن علوان إلى إنتاج معرفة جديدة في مفهوم الشخصية المثقفة، عطفا على ما أشار إليه ميشيل فوكو من أن التمثيل هو الاستراتيجية الأكثر شيوعا في إنتاج المعرفة، كونه يقوم على فكرة الاستغناء عن الشيء بصورته المتعارف عليها، ليحل محلها صورا جديدة؟

فرضية الدراسة:

تفترض الدراسة انطلاقا من تصورات محمد حسن علوان في رواياته أنه استثمر نماذجه المثقفة لتؤدي دورا سرديا بحتا، وتفترض في ذات الوقت استثماره لها كي تكون منبرا احتجاجيا كاشفا للوضعية الاجتماعية، وتعبيرا عن رؤاه الخاصة، خاصة في ظل تباين مسافتها من الواقع الثقافي المعاصر، كما تفترض أن بعض شخصياته المثقفة اتخذت من الثقافة جسرا لبلوغ غاياتها الشخصية.

المنهجية المتبعة في الدراسة:

تعتمد منهجية الدراسة على نظريات السرد، وتحديدا الدور الذي يؤديه التمثيل في المجال السردي، بحسب ما نظر له "تودوروف" "في مبحث صيغ القصة، ومداره طريقة تقديم الراوي للحكاية، المتمثل في صيغتين رئيسيتين، هما: السرد والتمثيل، .. ويصل تودوروف بين التمثيل ومقولات الخطاب وكلام الشخصية" (القاضي، 2010، ص112)، بمعنى أن تمثيل الأشياء وإعادة تصويرها مهمة تقع على عاتق الراوي، فهو إن كان يسرد إنما يُمثل للأشياء ويعيد تشكيلها.

أما الأدوات التي تعتمد عليها الدراسة في الوصول لهذه التمثيلات فهي رصد الشخصيات المثقفة، وتتبع مدى انعكاس ثقافتها على حياتها الخاصة والعامة، لنصل في نهاية المطاف إلى صورتها النهائية بوصفها شخصية مثقفة.

الدراسات السابقة:

من الدراسات التي دارت حول روايات محمد حسن علوان بحث لـ منال عبدالعزيز العيسى، عنوانه (الخطاب الصوفي في رواية موت صغير) لـ محمد حسن علوان، وبحث لأميرة عبدالله الزهراني، بعنوان (بنية المفارقة في خطاب اللامنتمي: رواية القندس لـ محمد حسن علوان)، وبحث لـ رند الشريعي، عنوانه (المفارقة الزمنية في الرِّواية: دراسة سردية في رواية القندس لـ محمد حسن علوان)، أما سمر بندر محمد بن خميس، فلها بحث (فِعْل الكتابة في رواية سقف الكفاية لـ محمد حسن علوان: دراسة بنيوية سيميائية، أما فيما يخص الدراسات التي تناولت شخصية المثقف في الرواية السعودية فلم نعثر إلا على دراسة وحيدة لـ مها بنت عبدالعزيز الشايع، وعنوانها (شخصية المثقف في الرواية السعودية).

عربيا أنجزت دراسات تتناول شخصية المثقف، منها (شخصية المثقف في الرواية المعاصرة)، لـ محمد رجب الباردي، و(شخصية المثقف في الرواية العربية في مصر بعد الحرب العالمية الثانية)، لـ نبيل يوسف حداد، و(شخصية المثقف في الرواية الفنية العربية الحديثة بمصر 1834-1952م)، لـ عبدالسلام محمد الشاذلي.

نلحظ أن الدراسات سابقة الذكر لم تتناول شخصية المثقف عند محمد حسن علوان، حتى وإن ارتبطت تلك الدراسات برواياته بشكل مباشر، ثم إن الدراسات الوحيدة التي دارت حول المثقف في الرواية السعودية لـ مها الشايع لم تتعرض مطلقا لروايات علوان، ولا لشخصية المثقف عنده، ولا نعلم أسباب إقصائها لرواياته في ظل العدد الكبيرة الذي اتخذته عينة لدراستها لجملة من الروائيين والروائيات السعوديات، فضلا عن بروز شخصية المثقف في روايات علوان.

إذن هذا سعي إلى سد هذه الحاجة بتناول هذه الشخصية تحديدا وفق رؤية هذا الكاتب، الذي

وضع تصوراته الخاصة لشخصية المثقف، ورسمها بكيفيات مختلفة بحسب ما سنطلع عليه في متن البحث.

ينطلق الباحث في دراسة شخصية المثقف عند محمد حسن علوان من أهميتها الخاصة والعامة، والخاصة كون شخصية المثقف حاضرة وبكثافة لديه، فضلا عن كيفيات توظيفه لها بتنويعات تدفع إلى طرح التساؤلات، أما العامة فلكونها "شخصية تتمتع بأهمية عن غيرها من الشخصيات باعتبارها ممثلة لدائرة الوعي الفاعل داخل المجتمع، ومن ثم فهي المقياس الحساس المنعكس عليه حركة الواقع سلبا أو إيجابا" (العبداللات، 2017، ص 146).

مدخل نظري:

يمكننا الوقوف على الجهاز الاصطلاحي في الدراسة على محطات ثلاث، محطة تُعنى بمفهوم مصطلح التمثيلات، وأخرى تُعنى بمفهوم الشخصية، والثالثة تُعنى بمفهوم المثقف.

نؤكد بداية على أن مصطلح التمثيلات هو نتاج التطورات الأخيرة التي شهدتها كل من النظرية الأدبية والنظرية الثقافية، أي مع صعود النظريات والمناهج الحديثة ما بعد البنيوية"(كاظم، 2004، ص21)، ومفرد تمثيلات: تمثيل، " والتمثيل Representation مفردة مركبة من مقطعين: الأول presentation أي تقديم الشيء وإحضاره، الثاني Re وهو إعادة النظر أو التفكير في الشيء، أو إعادة تقديمه من جديد، وهذا يعني أن التمثيل هو إعادة تقديم الشيء أو إعادة صياغته من جديد من خلال عمليات الإدراك والتخيل على صورة ما، وكأن هذه العملية تقوم على عدة عناصر متداخلة، هي:

أ. الحضورPresent، بمعنى وجود واقعة ما، أو حدث، أو شعور، أو إحساس، ظاهرة طبيعية أو بشرية أو مجتمعية قابلة للإدراك والتصور وإعادة البناء.

ب. المُتَمَثِّل Representator وهو ذلك الإنسان المبدع القادر على إدراك وفهم وتخيل أحد هذه العناصر، وإعادة بنائها أو خلقها أو إنتاجها من جديد، بمعنى أنه يتمكن من تمثيل صورة أو حقيقة أو طبيعة هذه العناصر، وتقديمها بشكل فني أو أدبي أو فكري.

ج. المُتَمَثَّل Represented أي جملة الأعمال الإبداعية التي ينتجها الروائي أو القاص أو الفنان التشكيلي أو الفيلسوف"(رسول. محمد رسول، 2010، ص ص 21–22).

بناء عليه فالتمثيل يقوم على "استعارة مضاعفة تتعلق بالتمثيل الدبلوماسي والتمثيل المسرحي، فالاستعارة الأولى تحيل على فكرة النيابة، وتفترض نقل صلاحية يخول بمقتضاها لشخص ما التصرف مكان شخص آخر، والقيام مقامه، وأما الاستعارة الثانية فتحيل على فكرة الإحضار؛

فالمسرحية تعرض بواسطة ممثلين أمام جمهور يشاهد أشخاصا حقيقيين لا يحضرون بصفتهم تلك ولكن باعتبارهم يتقمصون شخصيات حكائية"(القاضي، 2010، ص ص112 – 113).

وبصورة أوضح؛ التمثيل ضرب من العمليات التي تدور حول طريقتنا في النظر إلى أنفسنا وإلى الآخرين، وطريقتنا في عرض أنفسنا وتقديم الآخرين أو عرضهم أو استحضارهم كما تصورتهم الثقافة التي تمارس التمثيل"(كاظم، 2004، ص 19)؛ لذا من أخطر وسائل التمثيل الكتابة التي يبني الأديب من خلالها صورة ذهنية متخيلة لشخص أو لشيء ما، ويرسمها حسب وعيه ومرجعياته ورؤيته.

وفق هذا المفهوم فالسعي هنا لرصد تلك التمثيلات التي تصورها محمد حسن علوان لشخصياته المثقفة، كيفية تفكيرها، علاقتها مع الآخر، سلوكياتها، ملامحها، أنماط تشكيلها وفق رؤيته وتصوره الخاص.

ومصطلح الشخصية بوصفه عنصرا رئيسيا في الرواية يتحدد مفهومه من الدور المحوري الذي يلعبه في الرواية، لتصبح الشخصية قوة مولدة للأحداث، وكل عناصر العمل الروائي، مؤثرة فيها ومتأثرة بها، وهنا يلزمنا "التمييز بين الشخص Personne وبين الشخصية Personnage، فالشخص هو الإنسان الفرد كما هو موجود في الواقع، ذلك الإنسان الذي يعيش في زمن معلوم، أما الشخصية فهي علامة لسانية وكائن ورقي تنشئه المخيلة والكلمات، ويستخدمه المؤلف ليوهم القارىء بصدق الواقع الروائي" (الفواز، 2015، ص 23)، ومؤدى ذلك أن الشخصية بهذا المعنى المتخيل رهن أدوات الكاتب المتكفل بصناعتها وتشكيلها، تماما كالصور المتباينة التي شكّل بها محمد حسن علوان شخصياته المثقفة، ناظرا إليها من زاوية نظر البنيويين حين وصفوها بالشخصية" التي تتجسد على الورق، فتتخذ شكل لغة وشكل دوال مرتبطة منطقيا في اتجاه توليد الدلالة في ذهن القارىء بعد فكه شفرة العلامات الدالة"(سويرتي، 1994، ص 70).

بوسعنا الانتهاء إلى أن الشخصية الروائية هي وسيلة الكاتب لتجسيد رؤيته، والتعبير عن إحساسه بواقعه، لذا فهي تتعدد بتعدد الأهواء والمذاهب والإيديولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية التي ليس لتنوعها واختلافها حدود، وبالتالي فالروائي يخضع شخصياته الروائية لصرامته وتقنياته وإجراءاته وتصوراته وأيديولوجياته"(لوكاش، جورج،1972، ص28)، ويصدق على هذا " ما ذهب إليه تودوروف حين قال إن الشخصية كائن من ورق، ولكن رفض أية علاقة بين الشخصية القصصية والإنسان، على اعتبار أن الشخصيات القصصية تمثل أشخاصا حقيقين وفق طرائق خاصة بالتخييل"(العمامي، 2013، ص 76).

وللربط بين مفهوم الشخصية وتمثيلاتها، فالأمر عائد إلى " الشخصية الواردة في محتوى سردي هي من اختيار منشىء العمل أساسا، فهو الذي ينتقي ملامحها وسماتها، ويحدد لها موضعا معينا من عالم المغامرة، ويربطها بجملة من العلاقات المختلفة يختارها، .. فينشأ للشخصية من هذا

كله كيان قصصي مرتبط بمعنى، أو بمعان مختلفة" (قسومة، 2009، ص 190) هذا الكيان هو ما يمكن أن نطلق عليه التصور الذي يراه الكاتب للشخصية.

محطتنا الثالثة مدارها مفهوم المثقف أو الشخصية المثقفة، العائدة إلى مفردة ثقافة، والتي تمكنها أن تكون أداة لتعبير الشخصية عن الأشياء إلى الحد الذي دفع مارجريت ميد لاعتبار الثقافة " تدوينا واسع النطاق للشخصية" (سميث، 1992، ص 311)، بالنظر إلى قوة تأثيرها على تشكيل ذواتنا.

الثقافة بحسب تعريف مؤتمر اليونسكو" جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية، التي تميز مجتمعا بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات"(الرميحي، محمد، 1983، ص44).

والثقافة بحسب موسوعة علم الإنسان " هي ذلك الكل المركب الذي يتضمن المعرفة، والمعتقد، والفن، والأخلاق، والقانون، والعادات وأي قدرات أو عادات يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع"(سميث، 1992، ص 309).

أما شخصية المثقف فتكاد تتفق على ملامحه الكثير من المراجع والمصادر، " على اعتبار أنه إنسان علم ومعرفة وموقف حضاري عام، فالمثقفون هم الأشخاص الذين يمتلكون المعرفة وموهبة الحكمJudgment على المواقف المختلفة ... والصفة الغالبة على كل المثقفين هي استيعابهم لأدوات المعرفة، واستخدامها في العمل الذهني"(الشاذلي، 2006، ص5)، بمعنى أن ملامح شخصية المثقف في المفهوم العام تكتسيها ملامح خاصة، هي " التفكير العلمي, والرومانسية من حيث هي تعبير عن النزعة الفردية لدى المثقف، ومن حيث قيمتها الأصيلة بالنسبة للفنانين خاصة .. والسمة الثالثة هي الثورة والتمرد، وأخيرا الشعبية وهي نزعة ذات أهمية بالغة في تكوين نفسية المثقفين منذ بداية القرن الثامن عشر فصاعدا، وذلك من حيث إن شخصية المثقف تنزع باستمرار إلى تقديم حكمتها وذكائها إلى الشعب"(الشاذلي، 2006، ص6).

ننتهي إلى العلاقة الوثيقة بين الثقافة والشخصية، حيث يتفق أغلب علماء الأنثروبولوجيا النفسية على أن الشخصية الفردية هي نتاج لتركيب معقد من الإمكانات الخاصة بالنوع الإنساني، والميول المزاجية الفردية، وخبراتنا الاجتماعية والثقافية"(سميث، 1992، ص 313).

هذه التصورات تدفعنا أكثر نحو طرافة ما تسعى الدراسة لمناقشته في منجز محمد حسن علوان الروائي من حيث مدى تحقق هذه الملامح في شخصيات مثقفيه!، أم له مثقفه الخاص، بملامح جديدة وخصائص مغايرة!!

- **تمثيلات الشَّخصيّة المثقفة في روايات محمد حسن علوان:**

اغتنت روايات محمد حسن علوان بتمثيلات الواقع الحياتي ونماذجه الإنسانية، وشخصية المثقف من أهم النماذج الإنسانية التي جسدها في رواياته؛ بالنظر إلى حضورها حضورا فعليا يحقق ما ترمي إليه فكرة تمثيل الشيء؛ بمعنى إعادة تشكيل صور الواقع من جديد، وفق تصوراتنا ورؤانا وقناعاتنا الشخصية.

لقد منح علوان الشخصية المثقفة شرف البطولة في كثير من الأحيان، ووهبها امتلاك زمام السرد وصناعة الحدث، إلى الحد الذي يجعلك تصدق بأن شخصياته المثقفة تعبر عن شخصيته هو، بوصفه مثقفا وأديبا له موقفه الحضاري الفاعل في مجتمعه، وهذا ليس بغريب إذا ما عدنا إلى فكرة قرب الروائي من شخصيات روايته، حدّ اتخاذها وسيلة لتجسيد رؤيته والتعبير عن إحساسه بواقعه

قد لا يحق للقراء المطابقة بين الشخصيات الورقية وبين شخصية مؤلفها إلى حد اعتبار ذلك حقيقة ثابتة، لكن يحق لنا ـ في الوقت نفسه ـ الاستئناس بما ذهبت إليه بعض الدراسات في مقاربتها العلاقة الوطيدة بين المُؤَلِف ومُؤَلَفِهِ، فعلى حد رأي عبدالرحمن عمّار في دراسته بنية التشابه بين المؤلف وشخصياته الروائية يصبح "ذلك التماثل أو ذلك التطابق ممكنا وقريبا من الواقع الذي يعيشه الكاتب في الحاضر، أو كان يعيشه في الزمن الماضي، .. وهذه العلاقة التماثلية في أدنى حدودها هي علاقة حتمية، ولا يمكن نكرانها أبدا، فما دام هناك مؤلف وما دامت هناك شخصية أو شخصيات روائية، فهذا يعني أن شبها ما لا بد أن يقوم بين المؤلف والشخصية حتى ولو لم يظهر هذا التشابه واضحا للعيان"(عمار، عبدالرحمن، 2007، ص14).

هذا الرأي العلمي يقابله رأي المبدعين من الروائيين أنفسهم، الذين عبروا عن مسافة قُرْب أو بُعْد شخصياتهم الروائية من شخصياتهم الحقيقية، فـ عبدالرحمن منيف يرى أن الكاتب " يضع جزءا من نفسه في أي عمل يكتبه، .. فهناك نسبة معينة من الروائي في كل رواية يكتبها، وهذه النسبة تتفاوت بين روائي وآخر .. هو يتوزع على شخصيات متعددة، ولكنه من خلال جملة أو فكرة أو رغبة معينة، يُحَمّل الشخصية ما هو مقتنع به"(منيف، عبدالرحمن،1982م، ص42).

وإذا كان رأي منيف مواربا إلى حدّ ما فيتبنى نجيب محفوظ رأيا صريحا حد التطابق، في حديثه عن شخصية كمال عبدالجواد في ثلاثيته الشهيرة، فيقول: " إن أزمة كمال عبدالجواد هي أزمتي، وجانب كبير من معاناته هو معاناتي .. في الثلاثية كما قلت، جزء كبير من نفسي يتمثل في شخصية كمال عبدالجواد، إنه جزء مني"(عمار، عبدالرحمن، 2007، ص14).

انطلقنا من هذه القضية الجدلية كي نحفز الباحثين من بعدنا للنظر في مثل هذه القضايا ذات البعد الإشكالي، عطفا على ما أشارت إليه بعض المقالات الصحفية خاصة من التطابق الواقعي بين حياة بعض الروائيين وما يروونه لنا.

بالعودة إلى تمثيلات محمد حسن علوان لشخصياته المثقفة فأول ما يصادفنا وجود مشتركات، أو قواسم مشتركة في حياة مثقفيه، الذين صورهم في رواياته، إما ائتلافا أو اختلافا، وهي على النحو الآتي:

المشترك الأول: وضع علوان أُطرا حددت تصورات الثقافة بالنسبة لشخصياته، ونحصرها في مجال الكتابة الأدبية ومجال البحث العلمي ومجال المثقف العاشق مع ملاحظة أن ذلك يتكرر بشكل لافت من رواية إلى أخرى، بينما لم نعثر لديه على شخصية شعبية بسيطة من شخصيات المجتمع، بحيث تمثل الثقافة في مقابل هذه الشخصيات النخبوية(1)، أو ما تسمّى بِـ الانتلجنسيا، حتى أن عودته إلى التاريخ في رواية موت صغير، كانت عودة نخبوية الاصطفاء، بسرده حياة ابن عربي بطبيعتها المثقفة، مع ملاحظة أن هذا المشترك لا يَنْصَب الحديث فيه على الوضعية الاجتماعية من حيث الفقر أو الغنى.

المشترك الثاني: العوامل التي تسهم في صناعة المثقف، فعلوان يؤسس تصوره للشخصية المثقفة على عوامل قادرة على تشكيلها وصناعة هويتها الثقافية، كأن تنشأ الشخصية المثقفة في عائلة يكون أحد أفرادها مثقفا، أو ترتبط حياة ذلك المثقف بامرأة مُلهمة من أم أو حبيبة أو غير ذلك، أو يلهمه إعجابه بمثقف شهير، وتمثيلا لهذه المصادر فإن حب حسان للقراءة والكتابة كان أثرا من محبة أبيه للكتابة، بحسب وصف حسان مكتبة والده قائلا: "لندلف إلى المكتب المبطّن بالرفوف الخشبية، وأظهر الكتب الجلدية المدموغة بتلك العناوين الذهبية العتيقة"(علوان، محمد، 2010، ص 10)، ويتمثل ذلك أيضا في طبيعة النشأة، مثل نشأة ناصر الذي اعتاد منذ نعومة أظفاره على طرح آرائه ونقاش معلميه.

بالعودة إلى أن للمرأة أثرها في صناعة المثقف، وخاصة المرأة الملهمة، نجد أن علوان أبرز ذلك بوضوح في روايتي طوق الطهارة، وسقف الكفاية، ففي الأولى تتكفل غالية/حبيبة حسان بجمع كتاباته بين دفتي كتاب وتنشره مطرزا باسمه، أما حبيبة ناصر في سقف الكفاية فتلعب دورا استثنائيا بتحفيز ناصر على ممارسة الكتابة، وبدفعه لكتابة رسالة مطولة إليها.

وهناك مسألة التأثر بشخصية مثقفة شهيرة، تماما كإعجاب ناصر في سقف الكفاية بنجيب محفوظ، وأحلام مستغانمي، يقول: " رحتُ أحكي لكِ ما قرأته في رواية نجيب محفوظ عبث الأقدار" (علوان، محمد، 2002،ص 92)، ويشير أيضا إلى فوضى الحواس، لأحلام مستغانمي، مؤكدا على عباراتها المؤثرة بعد إهدائه هذه الرِّواية إلى محبوبته.

المشترك الثالث: هو صدى لنظرية علمية سكّها عالم الانثروبولوجيا النفسية الشهير والاس عام 1970م، تقول " إنه يتعين علينا النظر إلى الثقافة كميكانيزم يعمل على تنظيم التنوع الفردي ورسم معالمه في ضوء سمات النسق الاجتماعي القائم"(سميث، شالورت 1992، ص 313)، وهو ما يفعله علوان بوضعه تصورات شخصياته المثقفة في سياقات اجتماعية ثقافية ترسم ملامحها،

ومن الجميل أن السياقات الحياتية تلك ليست في الغالب الأعم مثالية أو ملهمة، فالصدفة الحياتية التي عاشها ابن عربي منحته فرصة للتأثر بشخصية الحريري، الذي أسهم بدوره على تعرف ابن عربي على الوراقين ودكاكينهم، حتى إنه يقول:" منذ عرّفني الحريري على من يعرفه من الورّاقين صار سوقهم بيتي" (علوان، محمد، 2016، ص11)، فكان جليًّا في ثنايا هذه الرِّواية عشقه للكتب والقراءة، ومكوثه في دكاكين الورّاقين الذين كانوا ينسخون آلاف النسخ لأشهر الكتّاب في زمانه. ثم الصدفة الثانية التي جعلت والد ابن عربي يختار له " شيخاً وضعه على أول الطريق" (علوان، محمد، 2016، ص90)، فيؤكد على أثر شيخه الصوفي هذا، الذي ما إن يرتمي تحت ركبتيه حتى يتسلل إلى نفسه سحر تصوفه، حتى تشكلت ثقافته الصوفية بكل روحانياتها ونورنايتها، وأضفت عليه صِبغة الصوفية ثقافةً من نوعٍ خاصٍّ، يقول:" والتقى أخيراً المريد بمراده، سافرت في ملامحه مثل حمامةٍ لم تعرف سماءً أكثر أماناً من وجهه، ولا روحاً أكثر رحابةً من روحه، جعلني عن يمينه أقرأ المتن الذي يشرحه، وجعل عن يساره صبيًّا آخر اسمه أحمد الحريري" (علوان، محمد، 2016، ص89).

الصدف تلعب دورها الكبير على نحو ما رأينا، وعلى نحو ما هيأته صدفة معرفة ابن عربي لمجالس الشيوخ في إشبيلية، تلك المجالس العلمية الأدبية التي تركت أثرها البليغ في تثقيفه وفي كتاباته.

المشترك الرابع: أثر الوضعيات الاقتصادية على صناعة شخصية المثقف، بمعنى أن سمة الثقافة وتشكل ملامحها في شخصيات علوان لا ترتبط بالظرف الاقتصادي، بمعنى أن الثقافة لا تصنعها الأموال، فناصر في سقف الكفاية كان يعاني من تدني مستواه المعيشي وقلة ذات اليد، بينما يعيش كل من حسّان في طوق الطهارة وغالب في القندس في رغد من العيش، فحسّان من الطبقة الثرية، ووالد غالب تاجر سجاد، ولم يعلم غالب وإخوانه بثراء والدهم إلا بعد انتقالهم إلى منزلهم الجديد في حي الفاخرية، ولعلنا هنا نذكر الزهد الاختياري الذي اختاره ابن عربي لنفسه تبعا لقناعات تصوفه، علما بأنه ابن المُحَدّث والفقيه محمد بن علي، إمام عصره، ومع هذا كان أيقونة ثقافية متفردة.

من معين هذه العموميات نستظهر تمثيلات الشخصية المثقفة في روايات محمد حسن علوان بشكل مفصل، وسوف نقسمها إلى تمثيلات أربع:

الأولى- المثقف الأديب (ناصر في سقف الكفاية، وحسّان في طوق الطهارة).

الثانية- المثقف الباحث (غالب في رواية القندس).

الثالثة- المثقف القادم من التاريخ (ابن عربي في رواية موت صغير).

الرابعة- المثقفة. (مريم بنت عبدون البجائي في موت صغير، مها في سقف الكفاية، غالية في طوق الطهارة).

أولا- المثقف الأديب:

روايتان اشتملتا على مثل هذا النموذج، المثقف الأديب، حسّان في طوق الطهارة، وناصر في سقف الكفاية، حسّان على الرغم من كونه أديبا ما تزال الكتابة في نظره وسيلة للتنفيس، للتطهر، غايتها نقد الماضي الأليم الذي عانى فيه من مشكلة التحرش. لذا أصبحت الرواية في رأي حسان" زرعَ حقل من الأفيون، يخدّرني إلى أجلٍ مسمّى" (علوان، محمد، 2007، ص30)، ومن المعروف أن الإنسان يلجأ إلى التخدير هربا من الوجع، من الألم، وحسّان في تصور علوان ما هو إلا ذلك المثقف الضحية التي وظفت قدراتها الإبداعية لتنتقم عن وعي ودراية، كونه يدرك أنه ضحية، ويعلم أنه يتصرف بحماقة، ويعي احتدام صراعه الداخلي، وهذه الحالة من التناقض بين الشعور بالظلم والشعور بالغضب، تحولت إلى مولدة إلهام لكتابة شيء مغاير ومختلف، ولتصبح الكتابة أداته المثلى للتعبير، حتى أنه يقول: " ظلّت الكتابة عندي حاجةً ملحّة"(علوان، محمد، 2007، ص26)، فكيف استثمر الكتابة لإيصال صوته كمثقف؟

استثمر لبلوغ ذلك العالم الافتراضي، من خلال تسخير ثقافته لفئة الشأْكِيْن والمتألمين مثله، أو أشبه ما يكون بالملاذ للتائهين في دهاليز الحياة، مخصصا وقتا من كل يوم لينتظرهم فيه، على منصته الإلكترونية، فيمسح على جراحهم، ويُطبب آلامهم، ولكن عبر صهر تلك الأوجاع والحكايا التي يبثونها إليه في كتابات إبداعية مدهشة.

ولأن الحب سمة جامعة في حياة مثقفي محمد حسن علوان، فقد جمع في حسان بين شخصيتين متوازيتين: حسّان المثقف، وحسّان المُحب، ولكنها تركيبة مقلوبة بتسخيره الثقافة والإبداع للحب، الحب الكبير الذي سيّر حياته، حتى إن كل ما كان يصنعه في فضاء الإنترنت لمريديه سخره ليكون رسائل حب وغرام وشوق إلى محبوبته، وهنا نستدعي حالات أخرى من حالات المثقفين العاشقين لدى علوان، ففي تصويره شخصية المثقف في روايتي موت صغير وطوق الطهارة نجد تباينا واختلافا، فحسّان في طوق الطهارة يسير بكتاباته نحو التطهر من الوجع، فتصنع له الكتابة عالما من النجاح والتواصل سواء مع الناس أو مع حبيبته، بينما كانت الكتابة في موت صغير وبالا على صاحبها ابن عربي، على اعتبار أن كتاباته صوفية الطابع أثارت جدلا كبيرا؛ وحركت مياها أمنية راكدة ضده؛ فأدّت إلى الغضب عليه وإيداعه السجن.

نحسب أن محمد حسن علوان وفق هذه التمثيلات المتباينة يصنع تصورا غير ثابت للمثقف الكاتب، فهناك كاتب براجماتي مثل حسّان، الكتابة عنده نفعية بالدرجة الأولى، حتى إنها لا تتجاوز حدود رغباته ونزواته، حين هام حُبّا في كتابات حبيبته، فمال للكتابة من أجل أن تكون جسره العتيد للتواصل معها، ويقابل هذا النوع النفعي نقيضه، من خلال كاتب يتخذ من الكتابة قناة لتبليغ رسالته، بأهداف أعمق ورؤى أبعد، وكأنه حيال مشروع ثقافي أكبر يناضل من أجله، وهذا النوع يمثله بامتياز ابن عربي بمشروعه القائم على التصوف وتجلياته.

النموذج الثاني للمثقف الأديب هو ناصر في سقف الكفاية، وأول ما يمكن الحديث عنه تلك المرجعية الأشبه بالصوفية في شخصيته، والتي تدفع بنا لتسجيل ملاحظة لافتة لدى علوان، أساسها العشق والغرام، ولكن من خلال التصوف وحضوره في أكثر من نموذج، فإن اعتبرنا شخصية ابن عربي صوفية حتى النخاع كما سنوضح في حينه، فها هي شخصية ناصر تحضر بذات الروح، وهذا ما تؤكده الباحثة منال بنت عبدالعزيز العيسى في عدها ناصر "ذات متصوفة حاملة لطابع وجداني يعلو بالروح المعذبة من جراء العشق إلى مصاف التصوف الروحي وما يحمله من شفافية" (العيسى، منال، 2013، ص 370). وتبرهن العيسى على هذا المنحى الصوفي في شخصية ناصر بأدلة حية مثل " تعامل الذات/ناصر مع الله بشكل خاص، فمن خلال الصلاة وبالصلاة تستنجد الذات بالله في محنتها العشقية: فرشت سجادتي وصليت ركعتين وجلتين، .. ثم تستعمل ما للعبادات من فلسفة خاصة بالنسبة للذات المتصوفة، وخاصة منها تلك التي تسخر كل عباداتها لخدمة عشقها والظفر بالمحبوبة، وإعانتها على تحمل آلام فراقها النفسية. تقول: سمعت حديثا يقول من صلّى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله حتى يمسي" (العيسى، منال، 2013، ص 371).

ناصر مثقف أديب شغوف بكتابة القصائد وتدوين الأفكار، يمارس الكتابة وينظر إليها نظرة مزدوجة، إيجابيّةٌ وسلبيّةٌ، الإيجابية مفادها أن الكتابة لغةَ تواصلية بين الكاتب والعالم المحيط، من خلالها يعبر عن أفكاره ومكنونات نفسه، وسلبيتها في كونها أشبه ما تكون بآلام الروماتيزيوم التي تنخر عظام جسده، كونها تعرّي الكاتب وتفضح أسراره، وتكشف عن مآسيه وأحزانه، يقول ناصر: "الكتابة اليائسة تشبه زنى التَّقيّ إذا استيقظ قلبه، وأنا أكره أن أفعل ذلك، ولكنه القلم عصاي التي أتوكأ عليها، وأهشُّ بها على ألمي"(علوان، محمد، 2007، ص72).

الكتابة أيضا أزمة بحد ذاتها، وناصر كاتب مأزوم، فهو وإن استمتع بفعل الكتابة لديه أزمة تواصل مع مجتمعه، ومع الآخر الذي لا يفهمه، أنظر كيف تخلى ناصر عن قرض الشعر بمجرد أن هجرته حبيبته، وهذا ما يؤكد ما ذهبنا إليه في شأن الكتابة عند حسّان التي سيّرتها نفعية حياتية مفرطة، وهذا ما نجده عند ناصر أيضا وإن بدرجة أقل، فحبيبته مصدر إلهام، وحافزه للكتابة وغيابها عنه يعني موت الإبداع، فإن كان وجودها بجانبه يحرك رئة الشعر عنده، فرحيلها يعني أن تتوقف رئته عن منحه الهواء، بل كان من المفترض أن تكون هذه الأزمات هي المحفز على الكتابة لديه.

يأخذنا هذا النموذج إلى مسألة عميقة تمس الثقافة برمتها، انطلاقا من المفهوم العام للمثقف الذي هو رجل علم ومعرفة وتنوير، تحتم عليه الظروف التاريخية التي يعيشها في بلد ما.. أن يتخذ موقفا سياسيا عاما يضعه كمثقف في منطقة الوعي" (الشاذلي، عبدالسلام، 2006، ص 8)، وهذا مالم يتحقق في شخصية ناصر، مما يعني أن نعتنا الأشخاص بالمثقفين لا يعني بأي حال من الأحوال قيامهم بفعل التغيير أو التنوير، فناصر هزمه الحب حتى تقوقع على ذاته، ورحل إلى فانكوفر الألمانية تاركا من ورائه الثقافة ومسؤولية المثقف، وهذا شكل من أشكال التخلي عن الدور المنوط بالمثقف في مجتمعه.

اللافت للنظر أن هذا التمثيل الذي صنعه محمد حسن علوان لمثقف سقف الكفاية له قوة حضور على مستوى التصور الذهني والشكلي، والسر في تلك القوة التناقض الرهيب في شخصية المثقف ناصر، فهو مجرد " كاتب روائي يعيش حالة تتماهى فيها ذاته ما بين العشق والإبداع، بحيث يتخذ من الأولى وسيلة للثانية، ومن الثانية أداة للتعبير عن الأولى، لذلك بدا صوت الكاتب قويا في هذه الرواية، ويتضح هذا من خلال كثرة التعليقات والاستطرادات، فالكاتب يتعمد التدخل في السرد الحكائي ويقطعه بالتعليق على الأحداث أو المواقف أو الشخصيات، تعليقا يؤدي في الغالب إلى انقطاع مسار السرد وتعطيله" (العيسى، 2013، ص 165)؛ بمعنى أن الوصف يكون أكثر حضورا وتجليا نظرا لرغبة الشخصية في التعبير عن مكنوناتها ومواقفها من الأشياء من حولها.

ثانيا- المثقف الباحث:

ليس لزاما أن يكون المثقف باحثا في مجال العلم، إلا أن محمد حسن علوان يطرح في رواية القندس هذا الأنموذج، بتصويره ذلك المثقف الذي منحه البحث العلمي شريعة الثقافة، وكأن سمة البحث العلمي هنا هي الأصل بينما الطارىء في شخصية غالب هي الثقافة، يؤكد هذا اتخاذ غالب الثقافة جسرا لبلوغ غاية محددة، ولهذه الغاية صورتان: الأولى أن يكون البحث العلمي طريقا لإثبات ذاته أمام عائلته التي لم تعر قدراته اهتماما، ولم تتوسم فيه أن يكون شيئا مغايرا في المستقبل، فيكفيها منه أن يعيش ليأكل ويشرب وينام، وهذا مالا يتسق مع تصوراته للنجاح وتحقيق الذات، الثانية لفت نظر حبيبته غادة، اعتقادا منه أن تحقيق ذاته عبر البحث العلمي سيجعلها تندم على بعدها عنه، بعد أن ترى اسمه بوصفه باحثا لامعا في هذا المجال.

السؤال الذي طرحناه هنا: لماذا ربط غالب بين ثقافته وبين البحث العلمي، هل اعتبر البحث العلمي صورة للمثقف؟، عودة إلى بعض وجهات النظر التي ترى "أن المثقف هو رجل العلم والمعرفة والموقف الحضاري العام تجاه عصره ومجتمعه، وتمثل المثقف أو ادراكه للعمليات المعقدة من التفاعل المتطورة بصفة عامة ومستمرة. وفي هذا التمثل تكمن الفروق المميزة بين الإنسان العالم أو المتعلم وبين الإنسان المثقف، فهناك الكثير من العلماء وأصحاب المعارف الخاصة ولا يمثل أحدهم في العادة شخصية المثقف إلا حينما يدرك أحدهم أنه يعمل في العمومية والشمول، لكي يخدم الخاص، فإن وعى هذا التناقض الذي سمّاه هيجل بالوجدان المعذب، هو الذي يحدد صفته كمثقف"(الشاذلي، عبدالسلام محمد، 2006، ص7)!!، وهذا ما يجعلنا نعيد ذات التساؤل: هل وعى غالب هذا فربط بين الثقافة والعلم؟

الحقيقة المؤلمة أن نموذج المثقف الذي يقدمه غالب هو ذلك المثقف الفارغ، أو الذي يحمل ثقافة القشور، أو هو المأزوم جدا في داخله، إلى حد اتخاذ الثقافة وسيلة لتحقيق حلمه التافه، الذي لايتجاوز أن يشبع رغباته بالنوم مع فتاة في برج مختلف كل شهر، لذا فضّل أن يبقى عازبا، كي يفسح لذاته مساحة تحرره من مسؤولية الزوجة والأبناء والمطالب الأسرية فيعيث في الأرض فسادا غير مكترث لا للثقافة ولا للبحث العلمي.

يبدع علوان في رسم تمثيلاته المثقفة، خاصة في لحظة ربطها بأنموذج حي من الحياة، وغالب بالنسبة لعلوان هو قندس مثقف، قندس قادم من سلالة عائلة تحمل جينات القنادس، جينات العزلة والحذر والترقب، قندس يقرض الحياة كما يقرض القندس جذوع النخل ليبني جحره وسط الوحل، وهذا تشبيه بليغ للغاية بين ثقافة غالب الواهية وبيت القندس الواهي, ثقافة هزيلة بناها غالب في ظرف عائلي مرتبك، لأبوين منفصلين، أب ينتزع منه الحياة انتزاعا، حياة نموها لا يتجدد، حبيبته غادة التي أدعى الثقافة من أجلها، ليست سوى نصف حبيبة ترش على جراح أزمته الحياتية الموغلة الكثير من الملح، فيزداد وجعه بها، لتصبح برهانا على تشكل المثقف الخاوي في مجتمعاتنا، إلى درجة أن يتسلق الثقافة كي ينجو من تيهه وهوانه.

بإيجاز شديد، الصورة التي أمامنا لمثقف وضع أسبابه الخاصة المرتبطة بالأسرة وبحبيبته نصب عينيه، ودفع ثمنا لهما سنتين من عمره، باتخاذه مدينة الرياض مكانا لإنجاز هذا البحث المنشود، ولكن بأدوات ضعيفة وشخصية مهزوزة لم تستطيع تغيير ذاتها كي تبتكر لمجتمعها بحثا نافعا، هي لم تستطع أن تشفي جراحها كي تستطيع تطبيب جراح مجتمعها.

ثالثا- المثقف القادم من التاريخ:

شخصية المثقف التي ترسمها لنا رواية موت صغير لها خصوصيتها، فمثقفها قادم من زمن آخر، وبيئة أخرى، وسياق اجتماعي آخر، الأمر الذي منح الشخصية المثقفة بُعدا جديدا مغايرا للشخصيات المثقفة التي رسمتها الروايات الأخرى، فحمولاتها الفكرية والأيديولوجية والسياسية والدينية عميقة للغاية، زد على ذلك أن علوان لم يرضخ لسلطة توثيق سيرة ابن عربي، ولم يكتبها من جانب تاريخي، بل أخذها نحو آفاق أبعد، وفجّر من خلالها فكرا معاصرا دالا، وكانت الثقافة مدارا لهذا التصوير الخاص بعلوان وعالمه.

نسير في هذا المقام إلى ما تفرضه مقولة فكرية راسخة تحدد التباين في المنطلقات النظرية التي يستند إليها كل من المؤرخ والروائي، بمعنى أن علوان كما تبدى لنا يعرف بوعي كبير هذه المنطلقات ويُفرق بين الدورين، فهو مدرك بأن " مخيلة المؤرخ يغلب عليها ويوجهها منطق الوعي التاريخي الذي لا يملك حق اختراع أحداث لم تقع أو شخصيات لم توجد، على النقيض من ذلك مخيلة الروائي الحدسية (لا المنطقية) التي تضيف إلى ما سبق استبطان الشخصيات التاريخية الفعلية وتقمصها وجدانيا وفكريا، وتحويلها إلى شخصيات روائية متخيلة، لا تتفق أو تتطابق أفعالها مع الوقائع التاريخية إلا على أساس مبدأ الاحتمال والضرورة"(محمدو، ولد متالي أحمد، 2019، 29)

نسلم يقينا بأن محمد حسن علوان لم يشأ استدعاء التاريخ ممثلا في شخصية ابن عربي، من أجل أن يقول لنا هكذا كان يعيش ابن عربي في عصره، إنما اتخذ من شخصيته منطلقا ليقول هكذا هي شخصية المثقف الثائر الموقن بدوره المؤمن بأفكاره، خاصة " وأن صفة المثقف أوجبت

على صاحبها تغيير عقلية المجتمع، وتعويده على تحكيم العقل والمنطق، بدل الأهواء، والمصالح الآنية التي تمنعه من التجدد والاستمرار"(قرانيا، محمد، 2000، ص302)، فما بالنا ونحن نقف حيال شخصية تاريخية مستفزة للكاتب الروائي خاصة، الكاتب والشاعر والرحَّالة والمتصوّف ابن عربي، تلك الشخصية الغنية بمخزون ثقافي وفكري وفلسفي واسع.

ابن عربي في تصور علوان الروائي شخصية مثقفة تتسم بالصرامة حتى مع ذاتها، لا تقبل بأنصاف الحلول، مثقف أمين على ما يكتبه، صادقة مع ذاتها، فإن خَفَتَ ما يكتبه رفع قلمه، واكتفى بما يعرف، يقول:

"توقفّت عن كتابة الفتح المكي لمَّا صرتُ لا أجد ما أكتبه فيه إلا العتيق المكرّر من المسائل"(علوان، محمد، 2016، ص356)، وهو لا يكتب إلا وفق طقوس خاصة مرتكزها الاستقرار النفسي والراحة النفسية، يقول: " هدأت نفسي (...) وعدت إلى الكتابة" (علوان، محمد، 2016، ص372).

ولكونه صورة للمثقف الواعي الأمين فقد اعترضته العديد من التحديات، واختلف على فكره ومنتجه الإبداعي، فتحول مثالا للشخصية المثقفة الإشكالية، وسنسوق بعض التحديات التي أثبتت أننا نقف حيال شخصية مثقفة متمردة كما صورها علوان، الدليل الأول حين تذمر من موقف ومن طباع عائلته التي رآها بعيدة كل البعد عمّا يريده وما يطمح إليه، فاضطره الأمر لأن يصرح بما يلي:

" شعرت أن عائلتي تعيقني عن المسير وتحرمني من المراد"(علوان، محمد، 2016، ص355)، ومن هنا بدأت رغبته في الرحيل بالتمرد على واقعه: " ثمة أسير في صدري، يريد أن ينطلق، شمس تنتظر أن تشرق، قافلة تتوق لأن ترحل"(علوان، محمد، 2016، ص398).

الأمر الثاني ردة الفعل تجاه كتابه: روح القدس في محاسبة النفس، الذي قُوضي بسببه، ودار بينه وبين القاضي حديث بتهمة أنه يميل في كتاباته إلى الغموض والترميز، ليس هذا فحسب بل هو حديث ينتهك فكره ورؤاه، ويتعامل معها بشكل من أشكال التسفيه والاستصغار، فيشعر وهو المفكر الكبير والمثقف المختلف بأنه وجد في زمن غير زمانه، خاصة أن القاضي طلب منه أن يكتب كلاما لا يستغلق فهمه على البسطاء من الناس، وبهذا يصبح المثقف صانعا للثقافة على مقدار قياس متلقيها، يسأله القاضي: أحقاً قولك إن الله متحدٌّ مع مخلوقاته؟ يرد عليه قائلا: لا يقول بالاتحاد إلا أهل الإلحاد، يسأله القاضي: وقولك إن الله يحلّ حلولاً في خلقه؟، يجيب على القاضي: مَن قال بالحلول ففهمُه معلولٌ .. لديّ صحائف، فيها تهمٌ موجّهةٌ إليك بأقوال باطلةٍ متزندقةٍ، أتنكر هذه الأقوال؟، أقول: اصرف خاطرك عن ظاهرها، وانظر في باطنها يتبيّن لك ما هي"(علوان، محمد، 2016، ص398).

رابعا- المثقفة:

في دراستها صورة البطلة في الرواية السعودية تؤكد رغدة صالح الإدريسي على حضور المرأة المثقفة في الرواية السعودية، مشيرة إلى أن "بطلات إحدى عشرة رواية من أصل أربع عشرة، هن بطلات مثقفات، ولعلنا نعد هذه نقلة مهمة في دور شخصية البطلة في الرواية السعودية بعد أحداث سبتمبر، فخروج البطلة إلى دور واعٍ وإيجابي، واكتسابها قيمة ذاتية إنسانية، بعيدا عن دورها النمطي كأنثى أو امرأة، وتقديمها للقيام بدور فاعل في مجتمعها المتخيل، والارتقاء بمستواها الفكري والمعرفي، وتصنيفها ضمن الطبقة المثقفة، كلها علامات على الثورة التي تتبناها البطلة في بيئة السرد المتخيلة" (الإدريسي، رغدة، 2014، ص142)، والسؤال: هل كانت مثقفات روايات علوان على هذا التصور أم رسمها هو بطريقته ورؤيته الخاصة؟

من حيث المبدأ، علوان لم يغفل التمثيل للمرأة المثقفة في رواياته، لكن أبرز نقطة لافتة في تمثيلاته أنه وضعها رغم ثقافتها ظلا للرجل، كأن تلعب دور الداعم الخفي الذي يحرك عالم الرجال بقوة كامنة، فتحبط وتحفز وتغير أدواره المجتمعية بصورة شبه مباشرة.

بطبيعة الحال ليس شرطا أن تقوم بهذا الدور امرأة مثقفة، فالنساء لدى علوان تشكلن على صور عديدة، ويأتي من ضمنهن المرأة المثقفة، التي لعبت بجدارة الدور سابق الذكر في حياة الرجال المثقفين الذين تناولنا شخصياتهم.

الحبيبة على سبيل المثال لعبت هذا الدور فلفت نظرنا كيف أن علوان جعل من موضوعة الحب والغرام والعشق وويلاته محركا فعليا لحضور المرأة، وكأن الحب هو المقْوَد الذي به تتوجه الأشياء والعلاقات، وهذا واضح وجلي، على نحو ما أكده علوان بنفسه في أحد مقابلاته الصحفية، إلى الحد الذي اتهمه المحاور بأنه يبحث من وراء موضوع الحب عن تعزيز الرافعة التسويقية لرواياته، فرد عليه بالنفي قائلا " لا، ليست قناعة، لأن التسويق ليس أهم أهدافي، أنا أحب أن أكتب عن الحب، هذا كل شيء، وأجدني أكثر صدقا حينما أتناول هذه الحالة الشعورية الرفيعة، بالنسبة لي إذا لم أكتب حول ما يشغل ضميري وقلبي أجدني عاجزا عن الاستمتاع بما أفعله، وحاليا ما زال عندي الكثير لأقوله عن الحب، وقد لا انتهي" (السميري، طامي، 2009، 406).

الجدير بالذكر هو ربط علوان الثقافة بهذا الموضوع الأثير، إلى الحد الذي دفعه إلى تصنيف النسوة من كونهن مثقفات أو غير مثقفات من واقع انخراطهن في الحب والغرام، فحين عدّد زوجات ابن عربي الثلاث لم يتجاهل وصف زوجته الأولى مريم بنت عبدون البجائي بالفتاة المثقفة.(علوان، محمد، 2016، ص164).

لنأخذ شخصية مها محبوبة ناصر في سقف الكفاية مثالا، فهي ذاكرته الكتابية والأنثوية، وهي فتاة مثقفةٌ ومنفتحة، لعبت بمشاعر ناصر وما لبثت أن ارتبطت بآخر، لها شغفٌ بالقراءة، وبالثقافة

والشعر والشعراء، وتمركز عشقها في شخصية الشاعر الهندي طاغور، عشقا دفعها لأن تُجيّر كل أمجاد اللقاء الأول مع ناصر له، حتى إن ناصر بحث عن كتاب طاغور من أجل أن يهديه إليها، ويبقى الخطير في الأمر أن ثقافتها وحبها للأدب ـ في ظننا ـ دفعاها للعب مع ناصر لعبة التسلية بالحب والغرام، حتى وإن كانت النهاية معروفة بزواجها من آخر، وبالتالي فثقافتها كانت تبحث عن شريك ثقافي لا شريك حياة، وحدث أن كان ناصر هو الضحية التي غذت هذه الرغبة في بُعدها الأدبي لا بُعدها الإنساني، ربما هذا ما دفع ناصر للهروب حين وجدها على ذمة رجل آخر.

تقابلنا في طوق الطهارة شخصية غالية، التي أحبها حسّان، وهي كاتبة في إحدى المجلات، وضليعة في عالم الإنترنت حدّ أنها ارتبطت به بعد أن تعرفت عليه في هذا الفضاء الافتراضي، ومن شدة حماستها للكتابة والثقافة جمعت كل كتابات حسّان أملا في جمعها في كتاب، ولا يفعل مثل هذا سوى مهتم ومهووس بهذا العالم، على الرغم من أن قراءات نقدية أخرى وجدت في حرصها على هذا الفعل مآرب أخرى لا تعبر عن الثقافة بالضرورة، وهذا ما يراه طامي السميري حين وجه سؤاله التالي إلى علوان:" يكمن التشويق في دوافع غالية وهي تصدر كتابا لكل ما كتبه حسّان في الإنترنت، لكن الأحداث بعد ذلك تنأى عن مساءلة غالية، وتتجه إلى حكايات أخرى لحسّان، كانت هناك فرصة لحسّان للتوغل في لعبة بوليسية عاطفية وهو يستدل على دوافع غالية، فلماذا اتخذت الأحداث اتجاها آخرا؟ يجيبه علوان بـ : أثناء الكتابة هناك العديد من الفرص لأخذ الرواية إلى اتجاهات لا نهائية"(السميري، طامي، 2009، ص407). هذا يؤكد لنا ما نذهب إليه في تصورنا لطريقة علوان في تصوير الأنثى المثقفة التي دائما ما تستظل بظل رجل، ولا تشق طريقها من دونه، وكأنه سبب حضورها المثقف.

نخلص من هذا إلى حقيقة مفادها أن محمد حسن علوان بتصويره المرأة المثقفة شكل صورة باهتة لها، لا تتقدم ولا تتأخر إلا بوجود رجل ينفث في ثقافتها الحياة.

نتائج البحث:

من خلال ما سبق، بوسعنا الوقوف على النتائج التالية:

- نوّع محمد حسن علوان في مستويات ثقافة تمثيلاته لشخصية المثقف، فجعلها على درجات غير متساوية في مصدر الثقافة والغاية منها.
- هناك اقتران واضح المعالم بين الحب والشخصية المثقفة التي يصورها محمد حسن علوان، فالحب منطلق أساسي يشكل الشخصية وتوجهاتها، ويرسم معالمها ثقافيا واجتماعيا وحتى سياسيا.
- يحتفي محمد حسن علوان بشخصية المثقف احتفاء كبيرا في منجزه الروائي، ويمرر عبر خطابه كثيرا من المقولات السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية.

- يصارع محمد حسن علوان من خلال الشخصية المثقفة الأنساق الثقافية المضمرة التي تشكل المجتمع وتصنع واقعه، ويستعمل هذه الشخصيات معولا لنقد الواقع، ولإعادة تشكيل مفاهيمه.

- نوع محمد حسن علوان في مصداقية الشخصية المثقفة في رواياته حيال مشروعها الثقافي فلم يجعل مصداقيتها بنفس المستوى، فاتضح للقارىء أن ابن عربي في رواية موت صغير كان الأصدق في مشروعه، بينما تقل تلك المصداقية لدى حسّان وغالب، ويأتي ناصر وسطا بين ابن عربي وبينهما.

- تمثيلات الشخصية المثقفة في روايات علوان تتخذ شكل المشروع الثقافي الذي يتبناه ويكرسه ويدافع عنه.

- تتضح من خلال تمثيلات علوان للشخصية المثقفة أزمة الثقافة ودورانها في وطننا العربي عامة في دوامة المعطى الاجتماعي، حتى بلغ الأمر وجود شخصيات مثقفة انهزامية لا تستطيع التغيير والتعديل على واقعها، فيكون الهروب مصيرها.

- نستطيع تصنيف تمثيلات محمد حسن علوان للشخصية المثقفة في رواياته، ليفوز ابن عربي بقصب السبق، عبر تحقيقه صورة المثقف الحقيقي الذي يدرك أن الوعي والثقافة وسيلتان للتنوير والتغيير، بينما يتوارى ذلك الوعي لدى باقي الشخصيات النفعية، بالنظر إلى اتخاذها الثقافة وسيلة لتحقيق أهداف أخرى في الغالب الأعم خاصة وتصل حدّ التفاهة.

قائمة المصادر والمراجع:

الإدريسي، رغدة صالح (2014). صورة البطلة في الرواية السعودية (*2001 ـ 2011*). كرسي الأدب السعودي.

رسول، محمد (2010). تمثيلات المرأة في الرواية الإماراتية . وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع.

الرميحي، محمد (1983). واقع الثقافة ومستقبلها في أقطار الخليج العربي. مجلة المستقبل العربي، *549*)، ص ص44 ــ59 . مركز دراسات الوحدة العربي .

سميث، شارلوت سيمور (1992). موسوعة علم الإنسان ــ المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية. المشروع القومي للترجمة.

السميري، طامي (2009). الرواية السعودية ـ حوارات وأسئلة وإشكالات. دار الكفاح للنشر والتوزيع.

سويرتي، محمد (1994). النقد البنيوي والنص الروائي ــ نماذج تحليلية من النقد العربي: المنهج ــ البنية ــ الشخصية (ط2). أفريقيا الشرق.

الشاذلي، عبدالسلام محمد (2006). شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة بمصر ـ*1952م* . الهيئة المصرية العامة للكتاب.

العبداللات، سهى خالد (2017). شخصية المرأة في الرواية النسوية الأردنية في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. وزارة الثقافة الأردنية.

علوان، محمد حسن (2017). سقف الكفاية (ط15). دار الساقي.

علوان، محمد حسن (2017). صوفيا (ط9). دار الساقي.

علوان، محمد حسن (2010). طوق الطهارة (ط3). دار الساقي.

علوان، محمد حسن (2017). القندس (ط8). دار الساقي.

علوان، محمد حسن (2018). موت صغير (ط10). دار الساقي.

عمار، عبدالرحمن (2007). بنية التشابه بين المؤلف وشخصياته الروائية. منشورات اتحاد الكتاب العرب.

العمامي، محمد نجيب (2013). البنية والدلالة في الرواية، دراسة تطبيقية. نادي القصيم الأدبي.

العيسى، منال بنت عبدالعزيز (2013). تمثيلات الذات المروية على لسان الأنا. الدار العربية للعلوم ناشرون.

الفواز، الريم مفوز (2015). سيميائية الشخصية في الرواية السعودية. الانتشار العربي.

القاضي، محمد (2010). معجم السرديات. دار محمد علي للنشر.

قرانيا، محمد (2004). الستائر المخملية: ملامح الأنثى في الرواية السورية حتى عام *2002م*. اتحاد الكتاب العرب.

قسومة، الصادق بن الناعس (2009). علم السرد (المحتوى والخطاب والدلالة). جامعة الإمام بن سعود الإسلامية.

كاظم، نادر (2004). تمثيلات الآخر ــ صورة السود في المتخيل العربي الوسيط. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

لوكاش، جورج (1972). دراسة في الواقعية (ترجمة نايف بلوز). منشورات وزارة الثقافة.

محمدو، ولد متالي لمرابط أحمد (2019) الرواية والتاريخ، حج الفجار لموسى ولد ابنو أنموذجا، مقاربة للتناص. دار كتارا للنشر.

منيف، عبدالرحمن (1992). الكاتب والمنفى ــ هموم وآفاق في الرواية العربية. دار الفكر الجديد.

الترجمة الصوتية لمصادر ومراجع اللغة العربية: Romanized Arabic References:

al-ʾidrīsiyyu raghda ṣāliḥin (2014). ṣūratu albaṭalati fī al-riwāyati al-suʻūdiyyati (2001 2011). kursiyyu alʾaʾadabi al-suʻūdiyyi

rasūlun muḥammadun (2010). tamthīlātu almarʾaʾati fī al-riwāyati alʾimāriāʾāatiya . wizāratu al-thaqāfati wa-l-shabābi watanmiyati almujtamaʻi

al-rumayḥiyyi muḥammadun (1983). wāqiʻu al-thaqāfati wumsatqibalahā fī aʾaqṭāri alkhalīji alʻarabiyyi mijallatu almustaqbali alʻarabiyyi 549)) ،ṣ ṣ - . markazu dirāsāti alwaḥdati alʻarabiyyi.

simīthu shārilwut sīmūr (1992). mawsūʻatu ʻilmi alʾinsāni almafāhīmu wa-l-muṣṭalaḥātu alʾunthurūbūlūjiyyatin almashrūʻu alqawmiyyu lil-tarjamati

al-samayriyyu ṭāmī (2009). al-riwāyatu al-suʻūdiyyatu ḥūārāat waʾaʾasʾilatun waʾishkālātun dār alkafāḥi lil-nashri wa-l-tawzīʻi

sīrty muḥammad (1994). al-naqdu al-bnyūʾiyyu wa-l-naṣṣu al-riwāʾiyyu namādhija taḥlīliyyatan mina al-naqdi alʻarabiyyi almanhaju albinya al-shakhṣiyyatu) t2 .(aʾafrīqyā al-sharqu

al-shādhiliyyu ʻubdāluslām muḥammadin (2006). shakhṣiyyatu almathqifi fī al-riwāyati alʻarabiyyati alḥadīthati bimiṣra 183 1952_m .alhayʾiatu almiṣriyyatu alʻāmmatu lil-kitābi

al-ʻbdāllāt shā khālid (2017). shakhṣiyyatu almarʾaʾati fī al-riwāyati al-nusawiyyati alʾurdunniyyati fī alʻaqdi alʾaʾawwali mina alqarni alḥādī wa-l-ʻishrīna wizāratu al-thaqāfati alʾurdunniyyati

ʻulwānu muḥammadu ḥasanin (2017). saqfu alkifāyati) t15 .(dāri al-sāqī

ʻulwānu muḥammadu ḥasanin (2017). ṣūfiyyan) t9 .(dāri al-sāqī

ʻulwānu muḥammadu ḥasanin (2010). ṭawqi al-ṭahārati) t3 .(dāri al-sāqī

ʻulwānu muḥammadu ḥasanin (2017). alqindisi) t8 .(dāri al-sāqī

ʻulwānu muḥammadu ḥasanin (2018). mawtu ṣaghīrin) t10 .(dāri al-sāqī

ʻammārun ʻbdālrḥmn (2007). binyati al-tashābuhi bayna almuʾuallafi washakhiṣayithi al-riwāʾiyyati manshūrātu attiḥādi alkuttābi alʻarabi

alʻimāmiyyu muḥammad najībin (2013). albunyatu wa-l-dalālatu fī al-riwāyati dirāsatun taṭbīqiyyatun nādī alqaṣīmi alʾaʾadabiyyi

al-"ayyasāʾu manālu binti ʻbdālʻzyz (2013). tamthīlātu al-dhāti almarwiyyati ʻalā lisāni alʾaʾanā al-dāru alʻarabiyyatu lil-ʻulūmi nāshirūna

al-fwāz al-rīmi mufawz (2015). sīmīāʾiyyatu al-shakhṣiyyati fī al-riwāyati al-suʻūdiyyati aliāntishāru alʻarabiyyu

alqāḍī muḥammadin (2010). muʻjami al-sardiyyāti dāru muḥammad ʻaliyyin lil-nashri

qirāniyyan muḥammad (2004). al-satā'iru almakhmaliyyatu malāmiḥu al-'unthā fī al-riwāyati al-sūriyyati ḥattā 'āmi 2002m .attiḥādu alkuttābi al'arabi

qaswmatu al-ṣādiqi bnu al-nā'isi (2009). 'ilmu al-sardi) almuḥtawā wa-l-khiṭābi wa-l-dalālati jāmi'atu al-'imāmi bni su'ūdin al'islāmiyyati

kāẓim nādirun (2004). tamthīlātu al{khari ṣūratu al-sūdi fī almutakhayyali al'arabiyyi alwasīṭi almu'uassasati al'arabiyyatu lil-dirāsāti wa-l-nashri

lūkāsh jūruj (1972). dirāsatun fī alwāqi'iyyati) tarjamati nāyifin bilawzi munshawarit wizārati al-thaqāfati

muḥammadw wulida mutālī limurābiṭi a'aḥmada (2019) al-riwāyatu wa-l-tārīkhu ḥajju alfujjāri limūsā waladi abnū unmūdhajan muqāribatun lil-tanāṣṣi dāru katārā lil-nashri

mnyf 'bdālrḥmn (1992). alkātibu wa-l-manfā - humūmun wa{fāqun fī al-riwāyati al'arabiyyati dāru alfikri aljadīdi

Representations of the Educated Character in the Novels of Muhammad Hassan Alwan

Sami Abdullatif Al Gamaan[1]

Abstract:

This study deals with the representations of the personality of the intellectual as envisioned by the Saudi novelist Muhammad Hassan Alwan in all his novels, as he celebrated this personality and made it actively present in his five works of fiction. Its importance stems from the role Alwan gave to the character of the intellectual, as well as the cultural, political, and social responsibilities he assigned to it. Added to this is the diversity of this personality, including the contemporary and the historical. This revealed a major problem centered on the overall representations the author has of the character of the intellectual and the responsibility he assumes in the narration. Were these characters echoes of his personality as an active intellectual in the Saudi cultural scene!! And were these characters able to play their enlightening cultural roles!! Who was idle and who was a traitor? Among the results the study expects to achieve is the exceptional presence and diversity of the intellectual character in Alwan's novels, as well as the disparity of his awareness of the intellectual's enlightening role, ending with the role of the cultural context in creating these representations.

Keywords: Intellectual personality representations novel Saudi novel, Muhammad Hasan Alwan.

(1) Department of Arabic Language and Literature Faculty of Art - King Faisal University (Al-Ahsa - Kingdom of Saudi Arabia)
samijum@hotmail.com